

## حضارة جيتون بجنوب تركمنستان (آسيا الوسطى) (مشكلة الأصل في إطار تأثيرها بحضارات الشرق الأدنى خلال العصر الحجري الحديث)

د. أبو الحسن محمود بكري موسى\*

تمهيد

شهدت منطقة جنوب آسيا الوسطى (خريطة ١) إنتشاراً للسمات المميزة للعصر الحجري الحديث في بداية الألف السادس قبل الميلاد تقريباً، وعرفت حضارة هذا العصر بحضارة جيتون، نسبة إلى موقع جيتون، وهو أهم موقع يؤرخ بهذا العصر في جنوب تركمنستان، ويقع شمال غرب العاصمة التركمنستانية عشق أباد. وتعتبر هذه الحضارة أقصى امتداد وصلته الحضارات الزراعية بالشرق الأدنى القديم تجاه الشمال. إنتشرت أهم مواقع هذه الحضارة على امتداد سفوح جبال كويت داج بجنوب تركمنستان. أهم الملامح الحضارية بها كانت: أدوات حجرية قزمية هندسية الشكل، مساكن وحيدة الغرف بُنيت من جواليس طين ذات شكل اسطواني، أو اني فخارية ملونة مسطحة القاع ذات زخارف هندسية بسيطة، تماثيل حيوانية من الصلصال، حلي من الخرز (عظم، صدف، فيروز) وغيرها، وهي ملامح تقليدية مميزة لحضارات الشرق الأدنى خلال العصر الحجري الحديث.

يتناول الباحث في الورقة الحالية حضارة جيتون من حيث أهم مواقع إنتشارها وأهم الملامح الحضارية التي ميزتها وتاريخها، ثم يتطرق لمشكلة أصل هذه الحضارة: هل كانت حضارة محلية تأثرت بمواقع العصر الحجري الوسيط التي كانت منتشرة بمنطقة بحر قزوين أم أنها نشأت وتطورت متأثرة بحضارات الشرق الأدنى القديم وآسيا الصغرى؟ يعتمد الباحث في هذه الدراسة بصورة أساسية على تقارير أهم البعثات الأثرية السوفيتية (الروسية حالياً) والتركمنستانية التي عملت أو ما زالت تعمل في أهم مواقع العصر الحجري الحديث بجنوب آسيا الوسطى.

\* قسم الآثار المصرية - كلية الآثار - جامعة القاهرة

1 Ph.L.Kohl, "The Northern 'Frontier' of the Ancient Near East: Transcaucasia and Central Asia Compared", American Journal of Archaeology, V. 92 № 4 (1988), 591-595

2 F. Brunet, "Asie Centrale: vers une définition des complexes culturels de la fin du Pléocène et des début de l' Holocène", Paléorient, V. 28, № 2 (2002), 19

## مقدمة:

ظلت الطبقة أناو IA التي تؤرخ بالعصر الحجري النحاسي المبكر، طبقاً لتأريخ بامبلي وشميدت<sup>٣</sup>، هي أقدم الطبقات الأثرية المعروفة بجنوب تركمنستان حتى ثلاثينيات القرن العشرين. وظل هذا متداولاً لدى الباحثين المعنيين بتاريخ الحضارة المادية لتركمنستان حتى بدأت تظهر لنا بعض المعطيات الجديدة في ثلاثينيات القرن العشرين، جعلت من الواجب إعادة النظر في هذا التاريخ. إلا أن غياب النشر العلمي المنظم للمادة الأثرية المكتشفة جعل من الصعب إعادة ترتيب الفترات الزمنية لكثير من المواقع التي أميط اللثام عنها.

جاءت أولى الإشارات إلى وجود طبقات أقدم في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين أثناء القيام ببعض البحوث الجيولوجية بالقرب من مدينة عشق آباد حيث تم العثور على كسرات من الفخار الملون وبعض الأدوات الصوتية، ثم توالى الكشوفات خلال الثلاثينيات والأربعينيات وبداية الخمسينيات، حتى تم الكشف عن العديد من المواقع التي تؤرخ بالعصر الحجري الحديث (جيتون، كيبيلي، نايزا-ديه، بامي، تشوبان ديه)، إلا أن هذه المواقع لم تتم بها أعمال حفر أثري بل ولم تُنشر الآثار التي تم التقاطها من على سطحها.

يعتبر عام ١٩٥٢ البداية الحقيقية لدراسة الحضارة الزراعية خلال العصر الحجري الحديث بتركمنستان عندما بدأت أعمال فريق البعثة الأثرية المتكاملة بجنوب تركمنستان الذي قام بزيارة المواقع التي تم التقاط الآثار السطحية منها وبدأت بعدها أعمال الحفر المنظم في جميع هذه المواقع منذ عام ١٩٥٥. مكنت المادة الأثرية التي تم الكشف عنها آنذاك (خاصة في موقع جيتون) الباحثين من أن يستنتجوا أن سكان هذا الموقع كانوا مزارعين مستقرين وكانوا قد أستأنسوا الكلب والأغنام، وكانوا يقومون بجمع المحاصيل عن طريق مناجل ذات أسنان من الصوان.

بعد هذه الأعمال الكشفية الأثرية المنظمة في الفترة من ١٩٥٥ وحتى ١٩٦٣ ظهرت السمات الأساسية المميزة للعصر الحجري الحديث بجنوب تركمنستان وظهر مصطلح حضارة جيتون للدلالة على حضارة العصر الحجري الحديث في جنوب آسيا الوسطى عام ١٩٥٨ عندما تم الكشف عن مركز قرية جيتون عن طريق أعمال أثرية ضخمة. استمرت أعمال الكشف عن مواقع جديدة تؤرخ بحضارة جيتون حتى الربع

3 R. Pumpelly, Exploration in Turkestan. V. I, (Washington, 1908), 104

4 V. M. Masson, Poselenie Djeitun, (Leningrad, 1971),

5 A. A. Marushenko, Kratkii otchet o rabote kabinete arheologii turkmenskogo gosudarstvennogo institute istorii, (Ashkhabad, 1949), 182

6 Masson, Poselenie Djeitun, ٦

الأخير من القرن الماضي وحتى بداية التسعينيات<sup>٧</sup>، حتى وصل عدد أهم وأكبر هذه المواقع إلى أكثر من سبعة عشر موقعاً، تميز من بينها موقع جيتون.

قسم الباحثون مواقع حضارة جيتون بوجه عام إلى ثلاث مجموعات محلية:

منطقة غربية (بامي I، بامي II، كيزيل - أروات) وهي مجموعة مواقع بدأ إعمارها خلال فترة ازدهار جيتون، منطقة وسطى (جيتون، تشويان - دبه، توجولوك - دبه وغيرها) تم استيطانها خلال الفترة المبكرة والوسطى من مراحل تطور حضارة جيتون، وأخيراً المنطقة الشرقية (تشاجيللي - ديه، مونجوكلي، جاديمي - دبه) تؤرخ جميعاً بفترة الإزدهار والطور الختامي للعصر الحجري الحديث بجنوب تركمنستان.

جميع هذه المواقع عبارة عن تلال ترتفع عن السهول المحيطة بها من مترين إلى خمسة أمتار ونصف، تتراوحد مساحاتها من نصف هكتار إلى الهكتارين، تراوحت عدد الطبقات الأثرية بالمواقع من أربع طبقات (توجولوك - دبه) وحتى اثنتا عشر طبقة (تشاجيللي - دبه)، أما موقع جيتون فكان به خمسة طبقات.

الملاح الحضارية لجيتون:

#### - المساكن:

عرفت حضارة جيتون بيوتاً مربعة أو مستطيلة بنيت من الطين تتألف من غرفة واحدة (شكل ١) تراوحت مساحاتها بين ٩ و ٣٩ م<sup>٢</sup>، مع وجود مكان للخرن في الزاوية، كان يوجد بجوار أحد جدران المسكن موقد ودعامة قوية تحتوي على وكوة عند الجدار المقابل. كانت أرضيات المساكن مبلطة بطبقة من الطين الملون بالمغرة الحمراء أو أحياناً بطبقة من الجص (شكل ٢) شيدت جدران المنازل بجواليص الطين بيضاوية الشكل<sup>٨</sup> (25-70x20-60 سم) مصنوعة من طين مخلوط بكمية كبيرة من القش، وكان يتم تثبيتها عن طريق خليط من مادة مساعدة صنعت من الطين والقش وهي نفس المادة التي كانت تستخدم في عمل طبقة الملاط لكساء الجدران. كانت أرضيات المساكن في بعض الأحيان تفرش بحصير من القش فوق الأرضية الطينية.<sup>٩</sup> ظهرت خلال المرحلة المتأخرة من حضارة جيتون ولأول مرة قوالب الطوب اللبن المسطحة ذات الشكل المستطيل جنباً إلى جنب مع جواليص الطين. بالإضافة لذلك ظهرت في ذلك الوقت أيضاً عادة تلوين الأرضية بأكثر من لون، حيث لونت أرضيات

7 D. Harris, V.M. Masson, Y.E. Berezkin, M. Charles, C. Gosden, G. Hillman, A. K. Kasparov, G.F. Korobkova, K. Kurbansakhatov, A. J. Legge, S. Limbrey, 'Investigating Early Agriculture in Central Asia: New Research at Jeitun, Turkmenistan', *Antiquity* 67(1993)324-338.

\* يطلق على التل في اللغات المحلية لآسيا الوسطى دبه Depe

8 V.M. Masson, *Kulturogenез drevnei Centralnoi Azii*, (St. Petersburg, 2006), 31

9 Masson, *Poselenie Djeitun*, 11-26

بعض الغرف بلون أحمر وأسود، أو طبقة الجص وفوقها أرضية طينية ملونة بلون أحمر.<sup>١٠</sup>

كان بجوار كل بيت فناء خاص به وغرفة ذات طابع اقتصادي (ربما مخزن خاص)، بنيت جدرانها أيضاً بجواليص الطين، مثل الغرفتان رقم ٢٣ ورقم ٢٥ بجيتون، حيث تم الكشف بكل منهما على مخزن استخدم لحفظ الأدوات الحجرية والعظمية، كان من بينها ١٠ مقاشط مصنوعة من عظام حيوانية ومحتات وإبر عظمية. وجدت كذلك بالإضافة لتلك المخازن الخاصة مخازن كبيرة المساحة كانت تستخدم من قبل أهل القرية جميعاً، وهي ذات جدران متوازية متساوية الطول وكانت غالباً ما تقع في الأفنية (جيتون - توجولوك - دبه، بيسيدجيك - دبه، تشاجيلي - دبه). طبقاً لرأي عدد من الباحثين كانت هذه المباني عبارة عن أساسات لمخازن الغلال أو لحفظ اللحوم المقددة.

تجدر الإشارة هنا أيضاً إلى بيوت ذات مساحات كبيرة تم الكشف عنها داخل بعض القرى، فنجد مثلاً في جيتون المبنى رقم ١٤ الذي تميز عن المباني الأخرى ليس فقط عن طريق مقاساته وجدرانه الضخمة (تقريباً ضعف جدران بقية المباني) ولكن أيضاً برسوماته الملونة باللون الأبيض والأسود والأحمر الموجودة على الدعامة بجوار الجدار الجنوبي.

أهم نماذج هذه المباني المميزة كُشف عنه في موقع بيسيدجيك - دبه (المبنى رقم ١٢) الذي بلغت مساحته ٦٤ م<sup>٢</sup>، عُثر بداخله على موقد ضخم (٨، ١ × ١، ١ م) ملاصق للجدار الشمالي الشرقي، وعلى يمين الموقد شيدت مصطبة من جواليص الطين. وكالعادة نجد على الجدار الجنوبي الغربي المقابل للموقد دعامة مزخرفة بشكل صلصالي يشبه الهلال. تم زخرفة كلا الجدارين برسومات ملونة (شكل ٥: أ) تبقى منها أشكال حيوانية وأشكال هندسية (المثلث وشبه المنحرف) وأشجار، رسمت جميعها بألوان سوداء وحمراء على خلفية بيضاء. من الجدير بالذكر أن هذه الرسومات الجدارية تم الكشف عن مثيلاتها في تشاتال هويوك بجنوب شرق الأناضول، لكن رسومات بيسيدجيك - دبه تبدو أكثر بدائية.<sup>١١</sup>

يرى البعض أن هذا المبنى ذي الرسومات الجدارية كان عبارة عن "بيت العشيرة" داخل القرية، ويدلل على هذا مساحة المبنى، ضخامة الجدران، الرسومات

10 O. K. Berdyev, 'Chagylly-depe, novyi pamyatnik neoliticheskoj Djeitunskoj kultury, in Materialnaya kultura Srednei Azii I Kazakhstana, (Moscow, 1966) 3, 5, 8; Neolit Severnoi Evrazii, S.V. Oshibkina (ed.), (Moscow, 1996), 89

11 Neolit Severnoi Evrazii, 89

12 Masson, Poselenie Djeitun, 12

13 O. A. Lollekova, 'Pessjik-Depe - A Neolithic Settlement in Southern Turkmenistan, Miras № 2□, (Ashkhabad, 2000), 140, fig. 2

